العدد (٩١٨٢) الأربعاء ١٣ ربيع الأول ١٤٢٤ هـ ـــ ١٤ مايو ٢٠٠٣م

أخبار الخليج

تناقضات الأمة.. مقومات ضعفها

بقلم :

سميرة رجب

«إن أهم عوامل الضعف العربي يتركز في النزاعات الطائفية والأصولية والاثنيات والأقليات التي تم تأجيجها منذ بداية الثمانينيات من القرن الماضي».

يعتمد منَظّرو ومهندسو النظام العالمي الجديد، في تنفيذ استراتيجياتهم في المنطقة العربية، على مجموعة من المقومات السلبية التي ترسخت في المجتمعات العربية بأكملها، شعوباً وحكومات، وأضعفت من قدراتها السياسية والأمنية بالقدر الذي يسهّل الأمر على القوى الكبرى الخارجية باستهدافها، وإن لم تستدرك هذه المجتمعات شعوباً وحكومات مدى خطورة هذا الوضع الذي تعيشه فإن هذه الاستراتيجيات لن يصعب تنفيذها من خلال إعادة صياغة أنظمتها الحاكمة وتحويلها إلى أنماط جديدة، تعمل على امتصاص جزء كبير من غضب الشعوب من جهة، ومن جهة أخرى تكون غير قادرة على تشكيل أية قوة في المستقبل، كما لن تكون قادرة على حماية نفسها، ويسهل التعامل معها حسب المصالح الاستعمارية وليس المصالح الوطنية للمنطقة، وأكبر مثال على ذلك هي تلك النماذج من (الديمقراطيات) التي بدأت تعمم في المنطقة والتي تعتمد على جميع العوامل والمقومات السلبية المتمكنة من هذه المجتمعات، التي سوف تُبقي المنطقة في حالة مستمرة من الضعف.

اعتمدت الاستراتيجيات الاستعمارية منذ البداية على أن تضع أهدافها البعيدة الأمد على تناقضات المجتمع مع ذاته، وعلى تأجيج وتعميق هذه التناقضات. وضمن هذا المنظور تعد المنطقة العربية هدفاً سهلاً للطامعين من خلال مجموعة التناقضات التي تعيشها هذه الأمة، التي تعد من أخطر المقومات السلبية في أي مجتمع. تتلخص هذه التناقضات الكبرى:

أولا: في عمق التوجهات الطائفية والأصولية وتضخم حجم ملف الاثنيات والاقليات.

ثانيا: في قضايا الفقر والجوع والبطالة والنمو السكاني المرتفع جدا.

ثالثا: في عدم وجود المؤسسات القادرة على إدارة الدولة خارج إطار سيطرة الأفراد والزعامات، مما يتسبب في وجود مجتمعات غير منضبطة وقليلة الفعالية لعجز الأنظمة وقصر نظرها وأفقها السياسي والاقتصادي.

رابعا: في انتشار وتمكن الفساد الإداري من أجهزة جميع الدول العربية ومؤسسات المجتمع المدني.

خامسا: في مجتمعات مدنية مخترقة.

سادسا: في شعوب غير قادرة على المحاسبة والمساءلة والتغيير.

سابعا: في التخبط في استغلال موارد المنطقة.

ثامنا: في قدرات عسكرية ضعيفة وهزيلة لا ترتقي إلى أجهزة قادرة على الدفاع عن دولة، بل معتمدة على الوجود العسكري الأجنبي والخبرات والصناعات الغربية.

إن هذا الاحتلال المهين للعراق وما سوف يتلوه من تداعيات قادمة وسريعة، يجب أن يضعنا شعوباً وحكومات عربية أمام مواجهة صعبة مع النفس، قد تكون متأخرة شيئاً ما، ولكن من السذاجة أن نعتقد أن الاحتلال الأمريكي سوف يتوقف عند حدود العراق وان القوات الغازية ستراعي أية علاقة صداقة أو تحالف مع أية دولة عربية بعد ما حققته في العراق. إن الاستراتيجية الأمريكية الواضحة للعالم أجمع وهي تمر اليوم بطور تطبيق أهم وأخطر مراحلها، وهي إحتلال العراق، يجب أن تضع الأمة بأسرها أمام تساؤل حقيقي حول الواقع العربي برمته في هذه المرحلة.

بمقدار معارضتنا لهذين الغزو والإحتلال ودوافعهما وأغراضهما وغاياتهما التي لاتزال قائمة، يستوجب اليوم المطالبة بمواجهتهما بخطاب سياسي عقلاني ديموقراطي يوضح بشكل عام وعي الشعوب بتناقضات مجتماعاتها التي عملت القوى الخارجية بالتواطؤ مع أنظمتها على خلقها وتعميقها ووضعها في سلّم أولوياتها، كما يستوجب الاقتناع بأن أساليب التعبئة والحشد الخرافي والاسطوري القائمة على الكذب على الذات قبل الآخر أثبتت فشلها.

إن أهم عوامل الضعف العربي يتركز في النزاعات الطائفية والأصولية والاثنيات والأقليات التي تم تأجيجها منذ بداية الثمانينيات من القرن الماضي، وتم استغلالها أحسن استغلال لضرب الوحدة الوطنية وإحلال الولاء المذهبي والطائفي المتطرف مكانها في مقدمة الأولويات السياسية من خلال إضعاف وتفتيت مراكز القوة في الثقافة العربية والنشاط السياسي في الوطن العربي بشكل عام. والأمثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى بدءاً بالخلافات الاصولية والإثنية في المغرب العربي الذي يتم استغلاله في الجزائر أحسن استغلال لإضعاف القدرات الأمنية والعلمية لهذه الدولة بينما الشركات الأمريكية النفطية الكبرى (شركة هليبرتون) تعمل بكل طاقاتها في الصحراء الجزائرية لاستغلال الثروة النفطية الجزائرية من خلال مصانعها ومكاتبها ومطاراتها المعزولة في الصحراء، بعيداً عن مناطق النزاعات في المدن الجزائرية الرئيسية، مروراً بالحروب الأهلية الطائفية والإثنية في السودان بهدف اقتطاع جنوبه الغني بموارده النفطية عن شماله المحكوم بحكومة إسلامية بعيدة عن الديمقراطية، وانتهاء بمنطقة شبه الجزيرة العربية والخليج العربي المتأججة بالصراعات الطائفية والأصولية بينما تحاول الأطراف المتنازعة إنكار أدوارها في تأجيج هذه الصراعات ، التي تصل أحياناً إلى درجة إنكار وجود هذه النزاعات أصلا.

وليس هناك مثال اليوم في حالتنا هذه أصدق من المثال العراقي، الذي إلى نهايات السبعينيات من القرن الماضي كان التلاحم الوطني من أهم أسباب قوته، وللتمكن من تفتيت هذا التلاحم تم زرع جميع عناصر الفتن والنزاعات الطائفية والدينية والإثنية في مجتمعاته المختلفة منذ ذلك الوقت للوصول إلى خلق إرادة تقسيم العراق إلى فيدراليات إثنية وطائفية يسهل التحكم فيها.

فمن كان يتصور أن يحتل قطر عربي آخر بعد فلسطين، ومن كان يتخيل أن يدار العراق بواسطة إدارة أجنبية بينما يقف العالم العربي كله في حالة عجز كامل؟ أليس هذا الوضع الخطير يتطلب معاملة حاسمة لن تتحقق إلا إذا أقنع العرب العالم برؤيتهم الموحدة في مقاومة هذا العدوان وهذه الاستراتيجيات المتكالبة على مجتمعاتهم وحضارتهم وثقافتهم ومواردهم؟ وهذا ما لا يبدو مؤكدا في الوقت الحالي، لأن هذا الزلزال الذي وقع في ٩ ابريل ٢٠٠٣ لايزال يتفاعل تحت تأثير مقومات الضعف والتناقض العربيين.

sameera@binrajab.com